جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

المرحلة/ دكتوراه اسلامي

المادة: انتشار الإسلام

استاذ المادة: أ.د. خالد محمود عبدالله

المحاضرة الثانية

عنوان المحاضرة: التعريف ببلاد السودان الغربي

عنوان المحاضرة: التعريف ببلاد السودان الغربي

أقسام السودان

تمتد منطقة السودان الغربي (افريقيا المدارية والاستوائية) جنوب الصحراء من موريتانيا في الغرب حتى السودان في الشرق، وتُقدّر مساحتها حوالي ٦,٧٠٠,٠٠٠كم٢، تتخللها هضاب وجبال، منها سلسلة الجبال عبر طريق سيقو جاو، و حجار، و أهير، وجبال أورار الشرقية والغربية، وترتفع بعض أماكن الصحراء إلى ٦٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، وتنخفض أخرى إلى مائة قدم تحت سطح البحر، تنتشر فيها كثبان الرمال والواحات الكبيرة، كما توجد فيها الهضاب الصخرية والمسالك الفسيحة وسلاسل الجبال المتقطعة وكذلك الوديان، ومن أهم واحاتها توجور و غرداية و أدرار و وات وغيرها.

الصحراء حاجز طبيعي منيع يحول دون اتصال أفريقيا المتوسطية بأفريقيا المدارية، لأن عرضها يبلغ في أضيق أجزائها ٣٠٠٠كم، كانت تقطع في الماضي بثلاثة شهور على الأقل، فالمسافر لا يستطيع توفي الماء له ولدابته يكفي ثلاثة شهور على الأقل، ورحلته مستحيلة لكثرة الأخطار وصعوبة توفير الطعام والراحة والنوم على إنسان بمفرده، فلا بد من قافلة من بضع مئات من الناس معهم بضع مئات من الدواب، ومن هنا يتوضح إستحالة قطع الصحراء، فلا عيون ماء تكفي لهذا القدر من الأحياء مسافة ثلاثة شهور، فضلاً عن أن جو الصحراء حتى في الشتاء لا يسمح لأهل الشمال بالعبور إلى الجنوب، ولأهل الجنوب بالانتقال إلى الشمال بانتظام، فأن أهل الشمال لا يستطيعون الصبر على لأواء الرومال السائلة وهي العروق، والصحارى الصخرية الحجرية زمناً طويلاً لأن حرارة الشمس طوال النهار حتى في الشتاء لا يتحملها إلّا من يتعود عليها من ولادته، ثم أن عواصف

الصحراء عنيفة ومفاجئة وانقة وأحياناً تدوم أياماً، وتجفف المياه، وقد هلك الآلاف من أهل الشمال في هذه الرحلة المهلكة.

أما السود من أهل أفريقيا المدارية والاستوائية فلا يصبرون على حرارة الشمس في الصحراء إلّا بضعة أيام، تجف بعدها أجسادهم ويموتون، لأن طبيعة أجسادهم مكونة على أساس شرب الماء بمقادير كبيرة، وتتبخر معظمها عن طريق المسامات.

طرق الإتصال بين شمال أفريقيا ووسطها :

على مر التاريخ لم تكن هناك إلّا ثلاثة طرق للاتصال بين شمال أفريقيا ووسطها وهي:

١- طريق نهر النيل:- يهبط المسافرون إلى أسنا، ومن هناك يسلك طريق يسمى طريق الأرعين، لأنه يُقطع في أربعين يوماً، تصل القافلة بعدها إلى كردفان بعد أن تتبع القافلة النيل، فتصل إلى الأبيض عاصمة كردفان، وهي واحة كبيرة وافرة المياه، ثم تسير القافلة إلى إقليم دارفور وقاعدته الفاشر، وهي من كبرى محطات القوافل في.

الاستوائية عن هذه الطرق الثلاثة، فما كاد الإسلام يدخل المغرب حتى أخذ يتلمس طريقه إلى الجنوب، واستطاع بقوته الذاتية وفضائله أن يجد طريقه عبر الصحراء ويصل إلى أهلها ويدخل قلوبهم شيئاً فشيئاً.

أقسام بلاد السودان الكبرى :

تقسم بلاد السودان الكبرى ((بلاد أفريقيا جنوب الصحراء) إلى ثلاثة أقسام:

١- السودان الشرقي:- الذي يشمل حوض النيل وروافده جنوب بلاد النوبة الذي يعرف اليوم بجمهورية السودان، ويضم إقليمي دارفور و كاردفان، كما يضم منطقة

جنوب السودان، وهو يمتد من خط عرض ١٢ أو ١١ شمالاً، ويمتد من البحر الأحمر إلى إقليم دارفور في الغرب، أمّا من الشمال فتحِدّه الصحراء الكبرى الواقعة جنوب مصر.

٢- السودان الأوسط:- يشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد، ويعرف بجمهورية تشاد، وكان هذا الإقليم في الماضي يتكون من إقليمي الأوبانجي و شاري، ثم استقل الأخير وعرف بجمهورية أفريقيا الوسطى.

٣- السودان الغربي:- يبدأ من ثنية نهر النيجر الشرقية، وينتهي بساحل المحيط الأطلسي غرباً، ومن حدود الصحراء شمالاً حتى إقليم الغابات المطيرة جنوباً، إذ البلاد الوثنية أمثال الصوصو و الموشى و الأشانتي، وهو يشمل الآن حوض السنغال وغامبيا و فولتا العليا والنيجر الأوسط.

أصل أهل بلاد السودان :

إنهم بصفة عامة من الزنوج، سواء كان الذين يعيشون في منطقة الغابات أو في الأراضي الزراعية المكشوفة التي تقع في شماليها بين الصحراء ونهري النيجر والسنغال، والملاحظ أن الأقوام الذين يعيشون في منطقة الغابات أكثر زنجية من ناحية الدم وسواد البشرة من أقرانهم في الشمال.

أصل الزنوج معقّد وإن أقدم تاريخ لهم يرجع إلى ما قام به المصريون القدامى على النقوش حوالي عام ٣٠٠٠ ق.م.

قسّم علماء الأجناس الزنوج الأفريقيين إلى مجموعتين رئيسيتين:

١- زنوج غربي أفريقيا الذين يتحدثون ما يطلق عليها اللغات السودانية.

٢- زنوج شرقي ووسط وجنوبي أفريقيا الذين تتصل لغاتهم بعضها ببعض وتسمى لغة البانتو، وهؤلاء الزنوج الذين يتحدثون لغة البانتو تأثروا بالشعوب غير الزنجية ولا سيما الحاميون الذين يتكلمون اللغات الحامية أكثر من زنوج غربي أفريقيا الذين يطلق عليهم تبعاً لذلك الزنوج الحقيقيون.

يذهب فريق آخر أن هؤلاء السكان يعود أصلهم جميعاً إلى كوش إبن حام بن نوح، وقيل أنهم نتاج امتزاج الكوشيين بالبوشمن أو الأقزام، ويذهب آخرين إلى ربطهم بزنوج الهند أو إندنوسيا، وأنهم هاجروا إلى بلاد السودان دون أن يتركوا أثراً.

أفضل الآراء بأصول الزنج يقول: كانوا فرقاً من الكوشيين المقيمين في أعالي النيل، وإنهم انتشروا بسرعة باتجاه الغرب، وإن الهجرة كانت في القرن الأول الميلادي، وأن الآلاف غادروا كوش الواقعة في بلاد النوبة، واستقروا كحكام في منطقة فزان غرب الصحارى و موريتانيا، وهناك تزاوجوا مع الجماعات التي كانت قد هاجرت من بلاد النهرين، إن تواريخ قبائل الهوسا الزنجية في الوقت الحاضر إدّعت أن أهل غانة القدماء يعود أصلهم إلى بلاد وادي دجلة والفرات، وإنهم كانوا يسمون أنفسهم لتورود أو التورون أي أن لهم أُصولاً آشورية أو بابلية.

دور طريق فزان و كوار في انتشار الإسلام

تمكن القائد العربي عقبة بن نافع بعد تحركه من برقة فتح فزان و ودان ثم كوار، و وثق من إسلام رؤسائها وطاعتهم و ترك في الناس من يعلمهم أصول الإسلام.

الذي يهمنا إن عقبة بن نافع فتح طريق فزان و كوار للإسلام، فبدأت القوافل التجارية وفيها مسلمون تسير في هذا الطريق و تُدخِل الإسلام إلى أفريقيا المدارية،

ومع الزمن أنشأت على الطريق المساجد والزوايا والربط وقامت الجماعات الإسلامية.

من هذا الطريق هاجرت خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي قبيلة بربرية غير معروفة الإسم لدينا، من مواطنها الأولى في المغرب، واستقرت في غرب المنطقة التي يطلق عليها العرب الساحل، ويقصدون به الساحل الجنوبي من الصحراء الكبرى، إذ أن هذه الصحراء هي بحر رمال، أما منطقة الساحل الغربي حوض النيجر فهي ساحله الجنوبي.

في منطقة الساحل النيجيرية هذه عرفت تلك القبيلة البربرية المهاجرة بإسم سوننكة، وتمكنت من السيطرة على إقليم الساحل كلّه، ومدّت سلطانها حتى حوض نهر النيجر الأعلى، وسيطر رجالها على مدن مثل تنكيت ((تنبكتو)) و ماسة و جنى، وتغلبوا على قبائل الإقليم المجاور لهم مثل البمبارا و الونقارا و التكرور، واتخذوا لأنفسهم عاصمة تتوسط ملكهم وهي غانة، وموضعها الآن مدينة خَرِبَة تسمى كومبي صالح إلى الشمال من باماكو عاصمة جمهورية مالي الحالية، وإن أول من قام بكتابة تاريخ هذه القبيلة هو المؤرخ محمود كعت في كتابه المعروف بإسم ((الفتاش)) الذي بدأه سنة ٩٢٥هـ/١٥١٩م.

اتسع ملك السوننكة وتمولوا بفضل تبر الذهب الذي يكثر في أنهار هذا الإقليم، واختلطوا بالسكان و صاهروهم، ولكنهم ظلّوا يحتفضون بشخصيتهم ولون بشرتهم الأسمر، فكان رعاياهم من السود يعتبرونهم غرباء، وظل ملكهم حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري. لقد حمل الإسلام إلى السوننكة في مواطنهم في أفريقيا المدارية التجار والدعاة القادمون عن طريق فزان، و وصف ملوك هذه القبيلة بأنهم ملوك الذهب، وسُمّيَت مملكتهم غانة نسبة إلى عاصمتهم، أو مملكة كيمغ نسبة إلى أول ملوكها، ومعنى كيمغ ملك الذهب.

العوامل التي ساعدت على حركة انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء .

يعد انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء من أهم الموضوعات، إذ ترتب عليه نتائج سياسية واقتصادية واجتماعية، غيّرت تغييراً شاملاً البنية والسمات العامة التي كانت عليها القارة من قبل.

حركة انتشار الإسلام وما أحدثه من تغييرات جوهرية كانت مدار اهتمام وجدال وحوار بين الباحثين والمهتمين بالدراسات الأفريقية، وقد تعددت هذه الآراء واختلفت، فمنها تلك التي تحاملت عليها، وغالبية هؤلاء من المستشرقين، إذ اتفقت معظم آرائهم على أن عملية نشر الإسلام لا في أفريقيا وحدها بل في معظم أنحاء المعمورة، قد تم بحد السيف والإكراه، ومنها ما يقع على النقيض من ذلك، إذ أوضحت آراء الفئة الثانية من المهتمين بهذا الجانب، مدى اعجابها بهذه الحركة وبسهولة انتشارها بين الأفريقيين، وهناك فريق ثالث وهو من الباحثين المعاصرين الأجانب الذين حاولوا أن يضفوا بعض الموضوعية على آراء من سبقوهم فأنصفوا الإسلام في بعض المواضع، ولكن شككوا في بعض القضايا الأخرى التي تتعلق بهذا الدين وانتشاره.

ولإستجلاء هذا الأمر ومناقشة هذه الآراء والوقوف عليها، لا بد من تسليط الضوء على كافة جوانبه، خاصة دراسة العوامل التي اعتمد عليها الإسلام في انتشاره في أفريقيا وهي:

١- العوامل الذاتية: وهي تلك التي ترتبط بالإسلام، كدين وعقيدة ومنهج وسلوك، وهي بطبيعتها تمثل الجانب الأساسي والمهم التي تتمحور حوله بقية أو غالبية العوامل الأخرى، فالدين الإسلامي في جوهره يحمل الكثير من الخصائص والسمات المتميزة التي تتعلق بالامور الهامة التي ساعدت على انتشاره بين الأفارقة وغيرهم، ان الإسلام أقر العديد من المبادئ التي تتعلق بحياة الفرد اليومية من عمل ومأكل

وملبس وغيرها من السلوكيات البشرية، فحث الفرد على العمل والعطاء {وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ}[التوبة:١٠٥]، وقال الرسول الكريم محمد ﷺ (ان الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه).

الإسلام أقر مبدأ العدالة بين الأفراد في الحقوق والواجبات، بصرف النظر عن مراكزهم الاجتماعية أو الاقتصادية أياً كان شكلها أو حجمها، فالناس في الإسلام سواسية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات: ١١]. { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ}[النساء: ٥٨]، كما ترتبط مقاومة التفرقة العنصرية في الإسلام بقصة الخلق، { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:١].

لا يعد الإسلام الفرد مسؤولاً عن عمله ولا يبني أية مسؤولية على عوامل أخرى خارجة عن قدرته كاللون مثلاً، ولم يرجح القرآن الكريم لون على لون، والألوان في الكتاب المبين مظهر من مظاهر قدرة المولى عزَّ وجلَّ، كما يَعُد الإسلام الإنسانية أسرة كبيرة خلقها الله من نفسٍ واحدة، وأن اختلاف الألسنة والألوان فيها مظهر قدرة الله وحكمته، وما جاء به القرآن من تفاضل بين الناس كان بعد توفير فرص متكآفئة، ولا يرضى الإسلام تحول مواهب الأفراد أو مواقعهم الاجتماعية إلى مراكز قوة يحترمون فيه على أساس اللون أو أي مظهر فيضاهون بقية فئات المجتمع وينقلون هذا السلوك إلى الأجيال التالية فروقاً أو أحقاداً.

إن الإسلام الذي أشار الله اليه القرآن الكريم وأكده الرسول الكريم ﷺ في مواضع كثيرة يفرض على المسلمين إلتزامات متعددة، فهو يفرض مبدأ احترام آدمية الانسان وتكريمه، وأن تكون العلاقة بين البشر قائمة على الاحترام المتبادل الذي يقوم على التعاون ومراعاة المصالح المشتركة ويوجب الاعتراف بحق جميع الناس في الحياة الكريمة.

وجّه الاسلام منذ انتشاره المبكر دعوته القوية إلى تقويض الأوضاع والأفكار الفاسدة مبتدءاً بالوثنية وما يتبعها من ضلالات الشرك، وحارب العصبية القبلية التي كانت تحول دائماً دون توحد الناس واجتماع شملهم، وكانت تؤدي إلى اثارة الضغائن واستمرار الأحقاد والحروب، ولد وجدت العصبية القبلية نفسها بظهور الإسلام أمام خصم قوي هو هذه العقيدة الجديدة التي تدعو العرب كافة إلى التآخي والتآزر ونبذ العداوة بينهم والتخلي عن الروح القبلية.

هناك قضية أخرى على أهمية كبيرة بالنسبة لأفريقيا جنوب الصحراء عاشت ولا تزال من تأثيراتها عليها، وهي تجارة الرقيق، وقد عالج الإسلام هذه الظاهرة وحدَّ من انتشارها، وهناك المئات من النصوص تدعو إلى العتق، ولما كانت مسألة الرق شديدة التعقيد في تلك المدة، فقد تدرج الإسلام في حلها كما تدرج في تحرلايم الخمر، لذا فأن الإسلام لم يفرق بين العبيد وغيرهم بل رفع شأنهم واعتمد عليهم من أجل تحريرهم وعتق رقابهم من ظلم الاستعباد، كما دعا الإسلام إلى عدم التعامل بالربا وحرّمها تحريماً قاطعاً وأمر بإيفاء الحقوق والديون واستيفاء المكاييل والموازين وعدم الغش في البيع والشراء.